الى ما حدد لها اذ في امكان الاكثرين ان يعيشوا لحد المئة ولكن لا يمنعهم من ذلك الا انهم يشترون ملذاتهم بايام عمرهم فهم يعلمون ان النظافة والرياضة والاعتدال في المعيشة من مسببات البقاء والشباب ولكنهم يرون انهم ان يتبعوها بالتدقيق المطلوب منها فاتتهم ملذة النفس التي تتطلب فناء الجسم لاجلها كما يتطلب النور فناء الشمعة لبقائه ولذلك تراهم يفضلون معيشة الاربعين منفقين فيها باسراف من جسومهم لنعيم نفوسهم على ان يعيشوا لحد المئة وهم في بطء عيشهم كالسلحفاة الطويلة العمر . الا ان هذا الاسراف واعتبار النعيم فيه انما هو وارد على الغالب من تعويد الانسان نفسه الشعور بتلك اللذة واعتبار ما عداها غير لذة ولكنه لو عود نفسه الاعتدال والقصد في السير لوهبته الطبيعة في اثناء عمره لذات لم يكن يشعر بها او يظن انها موجودة كما هو الشأن في الذي يشرب الخمر والدخان مثلاً فانه يعتقد انه سعيد بهما ولو كان مؤذيا نفسه وان من لا يستعملهما اجود منه صحة واقل باللذة استمتاعا ولكن هذا غير صحيح لان الملذات تأتي من اعتيادها واعتبارها انها ملذات فاذا وفق الانسان الى اعتياد الاعتدال حتى يصير شاعراً به انه لذة فان عمره يطول الى حيث رسموا ويكون عيشه سعيداً واما الاحتيال بمصل او نحوه مع بقاء اسباب الاسراف في الحياة فما نخاله بعيداً او هو كالعلاجات الحديثة التي اكتشفت لمعالجة الاسقام في الطب والجراحة فانها ما زادت شيئاً يذكر في عمر الانسان الحاضر عن القديم ولا خففت من آلامه بمقدارها من النفع الظاهر

تباين الاصقاع

مما ورد لاحد العرب وقد قيل له في شأن رداءة موطنه وخشونة معيشته قوله لو وسع كل العباد خير البلاد لما كان في شر البلاد بعض العباد وهذا ولا شك من سديد القول ومأثور الكلام لانه لا يصح ان يجتمع كل الناس او اكثرهم في بقعة واحدة طيبة كما انه لا يصح ان تكون بقاع الارض كلها طيبة والا كانت الارض نعيما خالصاً . الا ان الناس مع تباين مواطنهم مسرورون بها مغتبطون بالاقامة فيها وذلك للالفة والعادة والمعاشرة التي اوجدت بين الناس اسم الوطنية ومعناها

الا انه ليست كل بقاع الارض قد جاءت طيبة من لدن الطبيعة وصنع الله بل ان لجهد الانسان عملا كبيراً في طيبها ولذلك قد يستطاع ان تكون كل بقاع الارض طيبة او على قرب كبير من التشابه في الطيب لو كان كل الناس سواء في الادراك والجهد ولكن الله قد خلقهم كما خلق ارضهم على تفاوت في الحالات ولذلك قيل

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

اما البلاد التي اختصت بحالات ينعم بها بعض الناس دون سواهم فالبلاد الانكليزية من حيث داء الكلب لانهم حدثوا عنها ان هذا الداء ممتنع فيها ولذلك لا يرى فيها مكلوب لا لشيء الا لجهد اهلها وتنبه حكومتها ومثل ذلك يقال عن مقاطعة فلوريدا بامپركا فان هذا الداء ممتنع فيها كامتناع الرعن

(ضربة الشمس) بسبب اعتياد اهلها الحرارة كما هو الشأن في بلادنا ولهذا تعد نعمة الانسان على نفسه من حيث جهده عن منع ذاك الداء عنه بتينك البلادين كنعمة الطبيعة عليه في امر الشمس وكما قيل عن نعمتها في جزيرة وايت بانكلترا فانهم يروون عنها انها امينة من الصواعق ولذلك تعد اعظم ملجأ لمن يشتد هوسهم في الخوف منها كما انه يروى عن بلاد الانكليز بجملتها انه لا اثر فيها لداء الجذام ومثلها بلاد اليابان فان هذا الداء غير معروف فيها اصلا ولعله اذا كان للنظافة دخل في ذلك يكون منها لانه يقال ان ليس في الدنيا شعب انظف من الشعب الياباني

الا انه اذا كان في الدنيا بقاع تعد نعمة حقيقية على الانسان فلا تكون الا الاصقاع المتجمدة في القطبين وما قبلهما بقليل لانه لا يوجد فيهما اشد النقم وهو السل الرئوي كما انه ندر ان يوجد في صحارى افريقيا واعالي كاليفورنيا باميركا ولهذا يعتبر سكان تلك البلاد في نعمة حقيقية لامتناع ذاك الداء عنهم لانه اشد الامراض هولاً واكثرها تأكيداً للموت

ثم انه مما يذكر عن الاصقاع الشمالية الباردة جداً ان الامراض التي يسببها البرد نفسه غير موجودة فيها فان الانفلونزا لا اثر لها هناك بالاطلاق ولهذا يترجح الرأي القائل بان شدة البرد من ممانعات العدوى ومقاومات الفساد . وقد راقبوا في انكلترا هذه العلة التي اصابت الملايين من اهلها من سنوات وذهبت بحياة كثيرين منهم فوجدوا انها قد وصلت من المواطئ العالية الى حد وقفت عنده حتى ان مئات كانوا صرعاها في بعض القرى في حين كان كل الذي فوقها سليما لا اثر للعلة فيه

ولقد يحس الجمهور بانه لا يضايقهم شيء كالناموس الذي يكدر صفاءهم

ويحمل اليهم جراثيم الحميات الوبيلة ولكنهم ذكروا ان اسعد بلاد الله لنجاتها منه هي بلدة ساساري في سردينيا وذلك ليس من نعمة الطبيعة عليها بل نعمة اهلها على انفسهم لانهم علموا ان الناموس يتولد في المستنقعات حول بلدتهم فاكثروا عليها من صب زيت البترول حتى ماتت كلها وامتنع توالدها كما امتنع تولد امثالها من الهوام السامة وهي نعمة ميسورة للجميع ويحسن بارباب المنازل ان ينتبهوا اليها فيصبوا البترول في مطابخهم وتحت حنفياتهم فانهم بذلك ينجون من ضيق شديد وخطر وبيل

ثم ان المضايقة قد ترد من الانسان نفسه لفرط اهماله فيمنعها هو نفسه حين يتنبه اليها كما حدثوا عن نيويورك فانها بلدة عظيمة تعد كلندن التي لا ينقشع دخانها لكثرة ما يحرق فيها من الفحم ولكن تصاعد الدخان في نيويورك معدود ذنباً كبيراً ولذلك يحتال الناس فيها بوسائط شتى حتى لا يتصاعد الدخان من منازلهم او معاملهم ولهذا تبدو سماؤها صافية كسماء مصر ويعد ذلك نعمة عليها جاءت من عند اهلها انفسهم . وقد روي مثل هذا عن بلدان كثيرة منها ما تزيد بلدياتها كثيراً من رسوم الخمر حتى توشك ان تمتنع ومنها من تعد ضرب الموسيقى في الشوارع ذنباً عظيما فلا يتكدر فيها صفاء جالس او مشتغل الى غير ذلك من الحالات التي يتمتع بها اقوام دون اقوام وكان في الامكان اطلاقها في كل مكان فتصبح نعمة شاملة للجميع لو كان كل الناس لخيرهم ينتبهون

الا انه اذا كان في الدنيا نعمة حقيقية يشعر الجميع بها انها نعمة فلا تكون الا الامن والامانة وهما كما يقال موجودتان في كريستيانا عاصمة بلاد نروج فان الشرطة هناك شديدة التنبه الى كل لص حتى لا يفلت من ايديها واحد

ولهذا هجروها الى سواها حتى اشتد بها الامن وصار الانسان يترك بيته ودكانه مفتوحين ولا خطر عليهما ولا خوف وكذلك يروى عنها من جهة الامانة والصدق والوفاء فان الرجل يدخل الى مطعم فيأكل ويدفع ما يراه عليه الى صندوق هناك دون ان يراجعه احد اعتقاداً من الجميع بشيوع الامانة بينهم . فما ابعد تلك البلاد من حيث هذا الخلق عن بلادنا فان المرء فيها يوشك ان يعد اصابعه حين يسلم على صاحبه لفرط انتشار الخيانة والكذب والزور ذلك فوق ما فيها من بخس موازين وفساد مبيعات واهمال بلديات ولله في خلقه شؤون

الاعراس

تتنافس هند ودعد في افراحها فتعد كل واحدة ما تقدر عليه من معدات الزينة والطرب حتى يقال ان عرسها كان ابهج واحسن من عرس مثيلتها ويا ليتها اقتصرت على ما تقدر عليه ولكنها تعدت الى ما لا تحتمل نفقاته الا بالدين والدين مفتاح الخراب . هبي ان عرسك كان احسن من عرس جارتك فاي فضل احرزت واي فائدة استفدت ؟ لم تستفيدي الا خسارة اموالك في شيء لا فضل لك فيه فهل فكرت ان تفوقيها بعلمك وادبك وحسن تربيتك ؟ كلا

لو علمت ايتها السيدة كيف يتنافس وفيم يتنافس لما سابقت اخنك

في التبذير والخراب . اي فرح تعنين اذا كان بالامس عرساً واليوم قضية مع الدائنين . اذا كان لا بد من العرس فليكن بحكمة واقتصاد فلا ينفق الالوف في ليلة حتى اذا ما اسفر الصباح كان الكل هباء منثورا ولم يبق غير وجه الطالبين

اذا نقبنا عن كل ما في عرسك لوجدناه تنافساً في تنافس حتى بين مدعواتك فان الواحدة منهن لا يهمها الا ان تغير ملابسها اربع مرات او خمساً حتى ترى الاخريات ان عندها خمسة جلابيب حريراً وهذا لعمرك بئس الغرض

ماذا يهمني ان لبست جارتي جلبابا او غيرت عشرين اللهم الا ان اعرف منه مبلغ عقلها وسؤ تربيتها . اذا كانت كل سيدة تستحي ان تلبس الجلباب مرتين في عرسين متعاقبين اذاً فلتشتر لكل عرس خمسة جلابيب جدداً فلو دعيت في الشهر ثلاث مرات للزمها شراء خمسة عشر ثوباً حريراً فاحسبي كم تشترين في السنة . والاعجب من مسألة الملابس ان ترى كل سيدة بتاج من الماس على رأسها فاجيبيني ايتها السيدة ابنة اي الملوك انت واي القياصرة زوجك واي مملكة تحكمين ؟ يا لله قد افضى بكن التقليد الى تقليد الملكات فهلا قلدتنهن في ادارة البلاد وتنظيم شؤون العباد ؟ من لي بان ارى تيجاناً من العقل بدل تلك التيجان الماسية . لو فرضت نفسك ملكة لرأيت جيشك اوهاما ووزراءك فريق الدلالات وماليتك من الجيران خمسين جنيهاً ومن المرابين مائة جنيه ولرأيت مملكتك سبع حجر ومستعمراتك عشرة افدنة وصادراتك الدراهم وواردتك اثواب الحرير ولرأيت اسطولك عربة او حماراً ولرأيت ولرأيت ثم لو بحثت عما يدبر كل تلك المملكة الشاسعة